الخِطَط

(المسمى "المواعظ والاعتبار بذكر الخِطط والآثار") للمَقْرِيْزِيّ (845 هـ)

نستطيع أن نصف كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخِطَط والآثار » لتقي الدين المَقْرِيْزِيّ، والمعروف اختصارا بـ "الخِطَط" بتاريخ (مصر - القاهرة) ومجتمعاتها أيام الدول الإسلامية، فإن القاهرة وخططها القديمة وتطوراتها الجغرافية وشوارعها، بل أرضها وأسواقها ورياضها ومدارسها وكل ما احتوت من معاهد وصروح ودور عامة تشغل فراغا كبيرا في الخطط.

ويبدو أن المقريزي قد استغرق وقتا طويلا في إعداد مادة كتابه قبل أن يبدأ في كتابة " الخطط " فهو يقول في مقدمته : "... فَقَيَّدْتُ بخطي في الأعوام الكثيرة، وجمعتُ من ذلك فوائد قَلَّ ما يجمعها كتاب أو يحويها لعزتها وغرابتها إهاب..."[1].

وقد سَجَّلَ المَقْرِيْزِيّ مقصده من الكتاب فقال : " فأردت أن ألخص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية عن الأمم الماضية والقرون الخالية، وما بقي بفسطاط مصر من المعاهد غير ما كاد يفنيه البلى والقدم و لم يبق إلا أن يمحو رسمها الفناء والعَدَم، وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار القصور الزاهرة وما اشتملت عليه من الخطط والأصقاع، وحوته من المباني البديعة الأوضاع مع التعريف بحال من أسس ذلك من أعيان الأماثل والتنويه بذكر الذي شادها من سراة الأعاظم والأفاضل،... وأثر خلال ذلك نكتا لطيفة وحكما بديعة شريفة من غير إطالة ولا إكثار، ولا إجحاف مخل بالغرض ولا اختصار بل وسط بين الطرفين وطريق بين بين "[2].

---

1 الخطط 1 / 3 (ط. بولاق الأميرية، مصر).

2 السابق.

من الصعب أنْ نعين تاريخ البدء في كتابة وتنظيم المقريزي للخطط، لكن ثمة عبارات في ثنايا الكتاب تشير إلى أن ذلك كان بين 820 هـ و 825 هـ[3]، كما أن هناك ما يدل على أن أجزاء كثيرة من الخطط كتبت قبل سنة 820 هـ[4]، ولا ريب أن الكتابة في الخطط قد استمرت إلى ما قبيل وفاته سنة 845 هـ، قد استمر المقريزي في كتابة الخطط حتى آخر سنة 843 هـ[5].

وقد التزم في مقدمة كتابه أن يعزو كل نقل إلى الكتاب الذي أخذ عنه، فلا يكاد المقريزي ينقل رواية أو واقعة أو وصفا إلا أسنده إلى مصدره ومؤلفه، فأما أخبار فتوح مصر وتاريخها قبل الإسلام فيرجع في معظمها إلى ابن عبد الحكم وابن يونس والمسعودي وابن وصيف شاه، ويرجع أخبار الفسطاط الأولى إلى الكندي وابن زولاق، وفي وصف النيل وغيره من الموضوعات الجغرافية إلى المسعودي، وفي عصر الدولة العبيدية (الفاطمية) يرجع بالأخص إلى ابن زولاق والمسبحي وابن المأمون والجواني، وفيما يلي ذلك من أخبار مصر والقاهرة يرجع المقريزي إلى القاضي الفاضل وابن عبد الظاهر، ثم ابن المتوج.

والكتاب عرض مستفيض لجغرافية مصر والقاهرة والنيل القديمة وسيرها منذ الفتح الإسلامي، ومجمع فريد من صور مصر العمرانية والاجتماعية والفنية في العصور الوسطى، ومعرض بديع لتاريخ مصر الاجتماعي وأحوال المجتمع المصري وظواهره النفسية والأخلاقية وحياته العامة، كما يعنى بتدوين التاريخ السياسي والاقتصادي والفكري والاجتماعي لمصر الإسلامية.

كما يضاف إلى فائدة الكتاب أن المقريزي - الذي عاش عصرا يمتد من أواخر القرن الثامن إلى أواسط القرن التاسع - يسجل ما عاينه وعاصره من أحداث، وهذا القسم يشغل في الخطط حيزا كبيرا، وكان المقريزي بحكم الوظائف التي تولاها وحظوته لدى بعض الملوك الذين عاصرهم متمكنا من سبل البحث والتحري والاستطلاع والمعاينة.

---

3 انظر: عنان، محمد عبد الله. **مؤرخو مصر الإسلامية** ص 91 : 92، بخلاف ما رآه المستشرق جست في J. R. A. S. من أن ذلك بين سنتي 820 هـ و 840 هـ.

4 انظر السابق ص 93

5 انظر: السابق ص 92، بخلاف ما رآه المستشرق جست في J.R.A.S. من أن ذلك سنة 840هـ.

ولهذا ظل هذا الكتاب على مر العصور موضع التقدير والإعجاب، وما يزال إلى يومنا من أنفس المصادر في تاريخ مصر الإسلامية.

ويلاحظ أن "الخطط" كما انتهت إلينا تنقص عما رسمه لها المؤلف في المبدأ، فقد رسم لها أن تكون من سبعة أجزاء :

- الأول : يشتمل على جمل من أخبار أرض مصر وأحوال نيلها وخراجها وجبالها.
- الثاني : يشتمل على كثير من مدنـــها وأجناس أهلها.
- الثالث : يشتمل على أخبار فسطاط مصر ومَن ملكها.
- الرابع : يشتمل على أخبار مصر القاهرة وخلائقها وما كان لهم من الآثار.
- الخامس : يشتمل على ما أدرك عليه المؤلف القاهرة وظواهرها من الأحوال.
- السادس : يشتمل على ذكر قلعة الجبل وملوكها.
- السابع : يشتمل على الأسباب التي نشأ عنها خراب إقليم مصر.[6]

لكن الملاحظ أن الجزء السادس يتوسط الجزء الخامس في الكتابة وان المؤلف يستطرد في تناول ما بمصر والقاهرة من المساجد والمنشآت بعد تناول الجزء السادس تكميلا للجزء الخامس، ثم يختتم بفصول عن تاريخ اليهود والقبط والديار والكنائس، أما الجزء السابع الذي يقول عنه المقريزي أنه خاص بأسباب خراب مصر فليس له وجود، مع ان المؤلف يشير إلى المحن التي نشأ منها خراب مصر في مواطن كثيرة، وقد يرجع ذلك إلى أن المؤلف قد عدل عن كتابة هذا القسم، أو لعل الموت قد فاجأه، أو استعاض عنه بكتابه « إغاثة الأمة بكشف الغمة».[7]

وثمة هجوم قاس وجهه إليه معاصره الحافظ السخاوي الذي أثنى عليه في كتابه "الضوء اللامع" ثم قال: "وأقام ببلده عاكفا على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر ذكره وبعد فيه صيته، وصارت له فيه جملة تصانيف كالخطط القاهرة، وهو مفيد لكونه ظفر على مسوَّدة الأوحدي فأخذها وزادها زوائد غير طائلة"، إلا أن هذه الدعوى مردودة فمصادر المؤلف مبثوثة بين ثنايا الكتاب، والعصر الذي عاينه المؤلف بنفسه يشكل جزء كبيرا من الكتاب،

---

6 **الخطط** 1 / 4

7 مستفاد من: عنان، محمد عبد الله. **مؤرخو مصر الإسلامية** ص 93 : 94،...

مما يدعونا إلى حمل ما قيل في هذا الشان على أنه مما عرف عند العلماء بكلام الأقران في بعضهم بعضا، وحكمهم فيه أنه غير مقبول ما لم ترد فيه حجة مقبولة، ولا حجة ها هنا.

وقد قامت مطبعة بولاق الأميرية (بمصر) سنة 1270 هـ بطبع الكتاب في جزأين (بمجموع صفحاتهما: 521 صفحة)، من القطع الكبير، قام على تصحيح غالبها[8] الشيخ محمد بن عبد الرحمن قطة العدوي عن أصول كثيرة الغلط والسقط[9]، فجاءت المطبوعة مصححة حسب الطاقة وإن اشتملت على مواضع (كما يقول 2 / 520) لا يستقيم فيها السِّياق لسقط أو مخالفة صريحة لقواعد اللغة.

وقد أعيد نشر الكتاب مصورا عن هذه الطبعة مرات، منها نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة، وزارة الثقافة مصر، ضمن سلسلة الذخائر (رقم 51: 54)، ونشر: مكتبة الثقافة الدينية (بمصر) سنة 1987، الطبعة الثانية.

والحق أن الكتاب يفتقر إلى ما حظي به كتاب "النجوم الزاهرة" من عناية في التحقيق وصناعة للفهارس العلمية.

وقد قامت بعض المحاولات لترجمة الكتاب للتركية، كما قام مسيو ويات بترجمة القسم الرابع من الكتاب إلى الفرنسية مع النص العربي وأعقبه بفهارس وصدر عن المعهد العلمي في مصر سنة 1924 م...[10]، كما وضع عبد الحميد بك نافع كتاب «ذيل خطط المقريزي».

مصادر ومراجع:

- اجناتيوس :تاريخ الأدب الجغرافي العربي 2 / 485
- أحمد تيمور : التذكرة التيمورية ص 92
- الأزهر (مصر) : الأزهر الشريف في عيده الألفي ص 136.

8 صرح الشيخ 2 / 520 انه لم يصحح نحو 22 ملزمة من أول الجزء الأول، ونحو ذلك من أول الجزء الثاني.

9 كما قال الشيخ. الخطط 2 / 520

10 سركيس: جامع التصانيف الحديثة (111).

- (المستشرق) جست : مجلة الجمعية الآسيوية الملكية J. R. A. S. سنة 1902 (مقال عن مصادر المقريزي في " الخطط ")
- حاجي خليفة : كشف الظنون 1 / 304، 1889.
- ابن حجر : الدرر الكامنة 1 / 5
- حسن أحمد محمود : الكندي المؤرخ ص 45
- سركيس : جامع التصانيف الحديثة 111
- م. عالم الكتاب (القاهرة) (ع 20) / 118.
- عايدة نصير : الكتب التي نشرت في مصر 1 / 335 (9 / 1052 : 1060)
- عبد الحميد بك نافع : « ذيل خطط المقريزي »
- عبد اللطيف زاده : أسماء الكتب ص 156
- نجيب العقيقي : المستشرقون 1 / 164، 219
- محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ص 11
- محمد عبد الله عنان : مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري ص 88، 90 : 104.
- محمد عبد الله عنان : مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ص 55